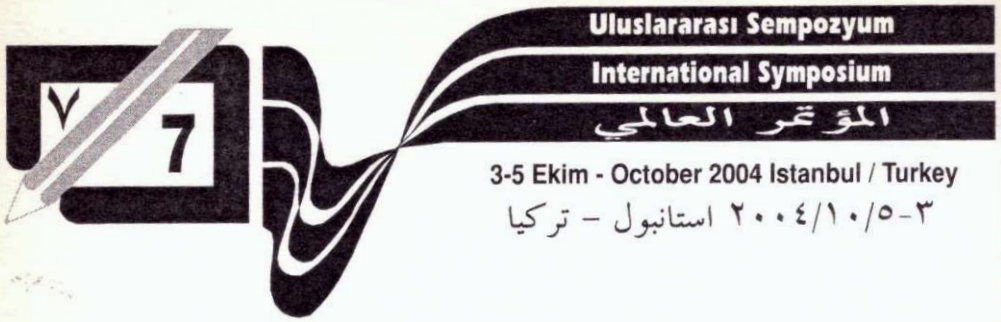

المؤتـــمر العالمي الســـابع
لبديع الزمان سعيد النورسي

ممارسة حياة ايمانية فاعلة

في سلام ووئام في عالم متعدد الثقافات
من خلال رسائل النور

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م
Ekim 2004
الترقيم الدولى
ISBN: 975-269-043-2
شركة نسل للطبع والنشر والتوزيع

حقوق الإنسان في رسائل النور
إشعاع تواصل....لا انكفاء دفاع

إيمـــان علـــي لاغـــا
طرابلس – لبنان

مدخل إلى البحث:

للتواصل الحضاري والاجتماعي شروط وقواعد حددتها المبادئ العلمية المتراكمة عبر الأزمان والتي تقتضي التكافؤ إضافة إلى المغايرة والخصوصية.

وفي ظل الحضارة ومدنية غدت الدعاية الوسيلة الأنجع للتحكم بمقاليد الأمور خاصة في حال انشداد الناس إلى تلك المعروفة بالسلطة الرابعة التي هي في بحث مستمر وراء كل جديد وكل خاص ليكون مادة يومية ورسائل تبثها لتوجيه الرأي العام والتحكم فيه.

ومن إحدى أهم أبجديات التواصل، المصطلحات التي تطفو على السطح وتكون الأداة التي يستخدمها كل طرف ليعبر عن بضاعته وهذه المصطلحات إنما يتحكم فيها الطرف الأقوى الذي يطلق شعارات أرادها تعبيراً عن المبدأ الذي يرغب بالتواصل مع الآخر على أساسه وهي إنما تحمل رسائل مدنية وعلمية وسياسية وحضارية يقف متلقيها أمامها حائراً عاجزاً عن التواصل المتكافئ أمام منطق القوة، فيتراجع إلى الوراء مدافعاً بأسلحة لا يلجأ إليها إلا المفلسون.

ولعل هذه المشكلة أي مشكلة تواصل العالم الإسلامي مع الآخر هي الأبرز اليوم.

ومنشأ هذه الأزمة ليس عيباً حضارياً لاحقاً بالعالم الإسلامي ولكن يعود إلى تشويه فكري لدى الأغلبية التي لم تعرف حقيقة كيف تتفاعل وتتعامل مع الهزيمة السياسية

العسكرية الحادثة منذ أن أهملت الأمة دراسة نواميس التطور وقانون الحياة، فغلبت على أمرها ونخر السوس فكر الصفوة وتسرّب الفساد إلى الإدارة.

وأمام هجمة هذا الآخر القوي، وأمام ما جاء به من جديد في المصطلح والتعريف لا في الجوهر والغاية، انبرى علماء المسلمين للرد والدفاع وبدأت للأسف حركة دؤوبة لامتصاص الصدمات تسعى جاهدة إلى إثبات أن هذه المصطلحات ليست غريبة عن الإسلام. فقال بعضهم باشتراكيته ونادى الآخرون بحقيقة رأسماليته، وطرحت مفاهيم الثورة والمقاومة وجرت محاولات حثيثة لهضم مصطلحات مثل الديمقراطية وحقوق الإنسان، وأفراد العلماء المقالات والمؤلفات للحديث عن الحرية وحقوق الإنسان في الإسلام محاولين إسقاط المفهوم الجديد على ما لديهم دون إدراك لوجود مصطلحات خاصة بهم قد لا تكون مختلفة في من الناحية اللغوية ولكنها ذات مفهوم مغاير لما هم بصدده، ولم يعوا بأي حال من الأحوال أنهم مختلفون بطبعهم يحملون حضارة متكاملة تؤخذ بكلياتها.

وهكذا وبين شعارات هذه الدعوات الدخيلة والوضع الراهن السياسي والاجتماعي المتشرذم، تلاقت الأضداد ووقع التناقض، واختلط الحابل بالنابل وتشوش فكر الصفوة وأسقط من يد العامة..

وتقتضي أصول لعبة الحضارات أن يتوقف هؤلاء الصفوة عن اتخاذ موقع الدفاع ليرتدوا إلى بضاعتهم ليعرضوها ممهورة بختم الأصل والجذر، ليقدموا ما لديهم ويحولوه إلى إشعاع تواصل يحمل الهوية الحقيقية للعالم الإسلامي وحضارته الخاصة بعد نـــزع ذلك البرقع أو تلك الغشاوة العاكسة التي تغلف جوهر الحضارة وتحجبها عن العيان، والبدء ببث رسائل خاصة بهم إلى ذلك الآخر المتلهف حقيقة، وخاصة في هذه الفترة من الزمن، إلى معرفة كنه هذه الحضارة، كما هي بعد خلعها لكل رداء دخيل ليرى فيها أصالة طرح لحضارة مغايرة لا انعكاساً غير واعٍ لما لديه وصورة مشوشة لما يعرف.

ولا نبالغ لو أعطي كل ذي حق حقه، إذ قد يكون لبديع الزمان النورسي السبق في تقرير نظرية المرآة العاكسة هذه وحين أطلق صورة الدمية المتحركة على العالم الإسلامي لدى قوله: "فمنذ انحطاط الخلافة، ونحن لا نتحرك ذاتياً، بل بالوساطة، فأوروبا تنفخ ونحن نرقص هنا"[1]. وبالتأكيد ولدى وضع قول النورسي في سياقه المعنوي يمكن تعميم

لفظ أوروبا اليوم وإطلاقه على ذلك الآخر المغاير الذي يبث هذه المصطلحات سواء لرغبة في التواصل أو لغير ذلك.

وفي محاولة لحسن تلقي هذه المصطلحات بإعادة صياغتها وفقاً للجوهر الموجود في الشريعة الإسلامية سنسلط الضوء على حقوق الإنسان كونها المصطلح الدارج في هذه الأيام وتُطْرَح بقوة من قبل الآخر الذي يروِّج لفكرة صراع الحضارات والثقافات حاملاً لواء الحرية والديمقراطية ولا تواجه هذه الدعاية إلا بمحاولات دفاع ألبست معظمها جواهر الإسلام لبوس المصطلح الجديد محافظة على النموذج المستورد بكل تفريعاته التي اعتبرت هي الأساس وفُتش لها داخل ثنايا الشريعة الإسلامية عما يناسبها ففقدت القاعدة الإسلامية جوهرها لانسلاخها عن سياقها العام.

وفيما يلي محاولة أخرى لإعادة تركيب حيثيات وتوصفات مصطلح حقوق الإنسان وفق السياقات الواردة في رسائل النور، دون أي تداخل لأي مرجع آخر، حفاظاً على نقاوة الفكرة وتجنباً للوقوع مرة أخرى في فخ المرآة الصماء.

فما يميز رسائل النور من حيث اختيار الموضوعات أنها خلاصة فكر ولد من رحم معاناة، تعرضت لها شخصية سليمة الفطرة، تشربت الأدب القرآني وعايشت مرحلة انتقالية حساسة في تاريخ الأمة الإسلامية. فزادت التجربة من اتقاد ذهن صاحبها وكانت هذه الرسائل خلاصة فكر فريد جدد للحركة مفاهيمها ومبادئها.

وقد حوت على إشعاعات ولطائف طالت جميع ما يخص الإنسان في حياته الدنيا والآخرة، قدمت في قالب نوراني حافظ على كلية وتكامل المنهج القرآني، وأبرز مقاصده الأساسية وعناصرها الأربعة: "التوحيد والنبوة والحشر والعدالة"[2].

وقد يكون هذا التكامل وراء عدم تخصيص النورسي لخطاب معين يعني بحقوق الإنسان واعتبرها جزءاً لا يتجزأ من كل لا يؤخذ إلا جملة واحدة، يرتكز أساساً على حقيقة الإنسان المخلوق لعبادة الله على فطرة سليمة ويجسد المعجزة الربانية، والذي لأجله سخّرت الأرض ومن قدسية غاية خلقه تشعبت حقوقه الفردية والعامة بحيث شملت ثلاثية الحرية والأخوة والمساواة دافعة بالشورى والعدالة وقدسية الحياة إلى الصدارة.

ومدار هذا البحث ليس اجتزاءً لهذه الحقوق من سياقها ولكن كشفاً لها وإظهارها للعيان بالمسمى الذي اختاره النورسي ليكون عنواناً لبضاعة أراد منها أن تقف في وجه منطق القوة "الذي تطلقه هذه المدنية المشؤومة التي أعطت البشرية دستوراً ظالماً غداراً بحيث يزيل جميع حسناتها ويبين السر في قلق الملائكة الكرام لدى استفسارهم: [أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ]."[3]

ففي معرض بيانه لغلبة قوة الحق على حق القوة يقول النورسي: "إن حكمة الفلسفة ترى القوة نقطة الاستناد في الحياة الاجتماعية وتهدف إلى المنفعة في كل شيء، وتتخذ الصراع دستوراً للحياة وتلتزم بالعنصرية والقومية السلبية رابطة للجماعات. أما ثمراتها فهي إشباع رغبات الأهواء. أما حكمة القرآن الكريم فهي تقبل "الحق" نقطة استناد في الحياة الاجتماعية بدلاً من "القوة" وتجعل "رضى الله سبحانه وتعالى" ونيل الفضائل هو الغاية بدلاً من "المنفعة"، وتتخذ دستور التعاون أساساً في الحياة بدلاً من دستور الصراع وتلتزم برابطة "الدين" بدلاً من العنصرية والقومية السلبية[4].

و سينقسم البحث إلي قسمين يدرس في الأول الحقوق العامة و بعضاً من تفريعاتها و في الثاني الحقوق الشخصية أو الفردية كما يسميها النورسي وذلك بخطوطها العريضة دون التعرض للحقوق الخاصة الجزئية.

القسم الأول: بيان الحقوق العامة.

يقرر بديع الزمان النورسي وجود حاجات للمخلوقات تستوجب الإشباع فيقول: "ليتأمل كذلك في جميع الموجودات ولاسيما الأحياء منها. فلكل منها حاجات كثيرة متنوعة ولكل منها مطالب عدة ومختلفة لإدامة حياتها وبقاء نوعها"[5].

ثم ينتقل من عموم الكائنات والمخلوقات إلى خصوص القوافل البشرية المستنيرة التي تمضي في جادة مستقيمة ومن ينحرف عن طريق تلك القافلة العظمى سيقع في فخ معارضة الشعائر الإسلامية لمخالفته دستوراً من دساتير الحقيقة التي بينها النورسي بقوله: "إن في الشريعة الإسلامية نوعين من الحقوق: "حقوق شخصية" و "حقوق عامة" والتي هي من نوع "حقوق الله" وإن من المسائل الشرعية ما يتعلق بالأشخاص ومنها ما يتعلق بالناس عامة، أي يتعلق بها من حيث العموم، فيطلق على هذا القسم اسم "الشعائر

الإسلامية" فالناس كلهم لهم حصة من هذا القسم؛ حيث يتعلق بالعموم، وإن أي تدخل في هذا القسم من الشعائر وأي مس بها، يعتبر تعدياً لحقوق أولئك الناس عامة، إن لم يكونوا راضين عنه. وإن أصغر مسألة من تلك الشعائر (ولتكن من قبيل السنة) على جانب عظيم من الأهمية، كأية مسألة جليلة لأنها تتعلق مباشرة بالعالم الإسلامي عامة[6].

وبذلك ربط النورسي بين حسن الانتظام العام للمجتمع وشعائر الإسلام دونما اعتبار لكبرها أو صغرها فهي مجتمعة تحقق الأمن الضامن لدقة سير المجتمع نحو الاستقرار والتكافل.

وللتركيز على بعض حقوق هذا القسم نذكر من أهمها:

1- الأمن الاقتصادي والاجتماعي.

2- الأمن السياسي.

1- الأمن الاجتماعي والاقتصادي:

يندرج تحت هذا الإطار عنوانان:

أ- حق العمل:

وقد كفلته الدعوة إلى الكسب الحلال بعرق الجبين حيث قال النورسي في إحدى مناظراته مع نفسه: "بينما الرجل الأول يقول: سأسعى سعياً حثيثاً في العمل الحلال بجانب عبادتي المتزايدة كيما أرسل إلى قبري ضياءً أكثر وأدخر لآخرتي خيراً أزيد"[7].

وهذا العمل بحاجة إلى:" بركة لينمو، في حين يذهب الإسراف وعدم القناعة به أما الطمع فيخبت وهج الشوق والتطلع إلى العمل، ويقذف بالإنسان إلى التقاعس والكسل، ويفسد إخلاصه ويفتح دونه باباً للرياء والتصنع، فيكسر عزته ويريه طريق الاستجداء الاستخذاء"[8].

ب- التعاضد الاجتماعي

وقد كفلته الزكاة، حيث يقول النورسي لدى تفسيره لقوله تعالى: [وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ]:

"وجه النظم: أنه كما أن الصلاة عماد الدين، وبها قومه كذلك الزكاة، قنطرة الإسلام وبها التعاون بين أهله... أي الزكاة جسر يغيث المسلم أخاه المسلم بالعبور عليها، إذ هي الواسطة للتعاون المأمور به، بل هي الصراط في نظام الهيئة الاجتماعية لنوع البشر، وهي الرابطة لجريان مادة الحياة...".

وفي بيانه لعلة هذا النظام قال: "إعلم أن شرط انتظام الهيئة الاجتماعية أن لا تتجافى طبقات الإنسان وأن لا تتباعد طبقة الخواص عن طبقة العوام.. ولا ملجأ للمصالحة بين الطبقات والتقريب بينها إلا جعل الزكاة التي هي ركن من أركان الإسلامية – دستوراً عالياً – واسعاً في تدوير الهيئة الاجتماعية".

ولتقنين هذه القاعدة الاجتماعية الراسخة يقول النورسي: "ثم إن من شروط أن تقع الصدقة موقعها اللائق: أن لا يسرف المتصدق فيقعد ملوماً... وأن لا يأخذ من هذا ويعطي لذلك، بل من مال نفسه... وأن لا يمن فيستكثر... وأن لا يخاف من الفقر... وأن لا يقتصر على المال، بل بالعلم والفكرة والفعل أيضاً، ... وأن لا يصرف الآخذ في السفاهة، بل في المنفعة والحاجة الضرورية"[9].

وهكذا نرى كيف اتحد مفهوم الأمن الاجتماعي والاقتصادي مع أركان الإسلام لتكون الزكاة عنواناً لحق الفقير في عنق الغني، "فالزكاة عمود أصيل وتتوطد به إدامة الحياة الحقيقية للإنسانية"[10] ، لا منة فيها ولا ذلة: "لأنكم أن لم تمنحوها وتحسنوا بها في سبيل الله، ما باسم الله، فإنكم بلا شك ستبدون منة وتفضلاً... لما تظنون أنكم أصحاب المال، وفي الحقيقة لستم إلا مستخلفين مأمورين تقومون بتوزيع مال الله على عباده"[11].

2- الأمن السياسي:

يكتسي مصطلح السياسة عند النورسي رداءً خاصاً مغايراً في جوهره وتطبيقاته للنموذج المعلن الذي يطرحه الآخر تحت مصطلح ضرورة المشاركة في العمل السياسي وحرية إبداء الرأي. وهذه المغايرة تحمل خصوصية حاول النورسي تبسيطها لطلابه لدفعهم نحو تجنب الوقوع في فخ العشوائية والاهتمام بما لا يفيد، فقال:

"إن مسائل السياسة تتعلق إلى حد ما بوظيفة العاملين في الشؤون الخارجية وأركان الحرب في الجيش والقادة المسؤولين. أما دفع تلك المسائل إلى رجل عامي ساذج وإثارته بها وصرفه عما يلزمه من وظائف تجاه شؤون روحه وأمور دينه، بل حتى تجاه شؤونه الشخصية بالذات ولوازم بيته وقريته، ومن ثمَّ جعله بهذا التلهف والفضول سائب الروح، ثائر العقل،... إن من يولي اهتماماً ضائعاً في هذا الوقت، بالصراعات الدائرة في الكرة الأرضية ويتابعها بلهفة وفضول بوساطة الراديو تلحقه أضرار مادية ومعنوية كثيرة..."[12].

ولم يكن قول النورسي مجرد نظرية يعلمها إلى طلابه بل منهجاً اتبعه في حياته الخاصة، إذ كان عديم الرغبة في تلقي أي خبر عن أحوال العالم وأخبار السياسة والحرب وعدم الاهتمام بها طوال أربعة أشهر رغم علاقته بها بقدر آلاف الأشخاص[13]. فهذه السياسة برأيه صنيعة مؤقتة لبعض الأشخاص انجرافاً لتيارات مؤقتة لا استمرارية فيها. وما ذلك إلا محاولة منه لإفهام أتباعه ضرورة نشر الحقائق الإيمانية والانشغال بخدمة رسائل النور فلا يعكروا صفوا أذهانهم بلعبة شطرنج يمارسها الظالمون مما يورثهم صفاءً في الذهن ويمنحهم وقاية وحماية من المهالك العجيبة التي يحملها هذا العصر[14], ويدفعهم بقوة إلى العودة لجذور السياسة الإسلامية اللصيقة بالحقائق الإيمانية المتمثلة بالشورى.

هذا المبدأ الإسلامي المرتكز على قوله تعالى: [وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ] و [وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلأَمْرِ].

فكان النورسي مقابل تحذير طلابه من السياسة الراهنة، يدفعهم ويدربهم على ممارسة الشورى فيقول لهم: "صونوا آراءكم من التشتت بإقامة الشورى الشرعية بينكم"[15].

ويطبقه على نفسه ليكون المثل الذي يحتذى فيقول لهم: "إتباعاً للأمر الإلهي [وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلأَمْرِ] أجد نفسي بحاجة إلى التشاور مع أخواني"[16].

وينتقل معه مفهوم الشورى إلى حيز الشمولية فيقول بعد أن أفرد لها كلمة خاصة في صيقل الإسلام: "إن مفتاح سعادة المسلمين في حياتهم الاجتماعية إنما هو الشورى فالآية الكريمة تأمرنا باتخاذ الشورى في جميع أمورنا، إذ بقوله سبحانه وتعالى: [وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ]".

ويعود ليقرر حقيقة "أن تلاحق الأفكار بين أبناء الجنس البشري إنما هو شورى على مر العصور بوساطة التاريخ حتى غدا مدار رقي البشرية وأساس علومها".

ليصل بعد ذلك إلى لب الموضوع فيقول: "إن سبب تخلف القارة الكبرى التي هي آسيا عن ركب الحضارة إنما هو لعدم قيامها بتلك الشورى الحقيقية".

ولأولئك المتخبطين في ظلمات السياسة المؤقتة ولمن يقف عاجزاً يبكي كالنساء ملكاً لم يحافظ عليه كالرجال، يعطيه النورسي مشعل نور يرشده إلى حقيقة الأمن السياسي الذي يعيد للأمة استقرارها فيقول: "إن مفتاح قارة آسيا وكاشف مستقبلها إنما هو الشورى، أي كما أن الأفراد يتشاورون فيما بينهم كذلك ينبغي أن تسلك الطوائف والأقاليم المسلك نفسه فتتشاور فيما بينها. إن فك أنواع القيود التي تكبل ثلاثمائة بل أربعمائة مليون مسلم، ورفع أنواع الاستبداد عنهم إنما يكون بالشورى والحرية الشرعية النابعة من الشهامة الإسلامية والشفقة الإيمانية"[17].

فالشورى الحق تولد الإخلاص والتساند[18]

وهكذا تفتح لنا الحقوق العامة كما قررها النورسي نافذة يلج منها الباحث في مكنونات رسائل النور ساعياً وراء حقيقة الحرية الشرعية المندرجة ضمن حقوق الأفراد والتي قننها ودافع عنها النورسي بامتياز.

القسم الثاني: الحقوق الفردية

لدى توصيفه للواقع البشري السياسي لمعرفة موقع الفرد فيه في ظل سيطرة القوي على الضعيف وتغليب المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، دون أي اعتبار لمفهوم الأمن الفردي المستقى من مبدأ حقوق الأفراد، يقول النورسي: "إن القانون الأساسي للسياسة البشرية هو: أن يضحى بالأفراد من أجل سلامة الأمة وتفدى بالأشخاص حفاظاً على الجماعة، ويرخص كل شيء في سبيل حماية الوطن... بيد أن جميع الجرائم البشعة التي ارتكبت في البشرية إلى الآن إنما ترتكب بسبب سوء استعمال هذه القاعدة وهذا القانون الأساسي، فلقد تيقنت من هذا يقيناً قاطعاً فهذا القانون البشري الأساسي ليس له حد معين ولا ضوابط مخصصة لذا فقد مهّد السبيل للتلاعب باستعماله بكثرة..."[19].

وكمثال ناطق بالحق والبرهان يؤكد النورسي كلامه بالتدليل على ما جرت به الحربين العالميتين من ويلات دمرت حضارة البشرية جمعاء.

بعد هذا التقرير ومقابل هذه الحالة يعود النورسي ليعرض بضاعته المستقاة من المنهج القرآني الذي ارتضاه الله الخالق لعباده وهو أدرى بحال خلقه، فيقول النورسي: "وهكذا ولقد وجدت عوضاً عن هذا القانون البشري الأساسي الغادر، القانون الأساسي للقرآن العظيم النازل من العرش الأعظم وذلك في الآيتين: (ولا تزر وازرة وزر أخرى) (ومن قتل نفساً بغير نفس أو فساداً في الأرض كأنما قتل الناس جميعاً) فهاتان الآيتان تعلّمان القاعدة الجليلة الآتية:

لا يؤخذ أحد بجريرة شخص آخر ثم إن البريء لا يضحى به حتى من أجل جميع الناس دون رضاه... هذه القاعدة الجليلة هي التي ترسي العدالة الحقة في البشرية"[20].

هذه العدالة تتناقض تماماً مع مفهوم العقاب الجماعي السائد بين الأمم اليوم بعدما غيب القانون القرآني وهضمت حقوق الفرد وعدا البعض على قدسية حياة الآخرين بدعوى الأمن الوقائي والمدنية والحرية. والى هؤلاء البعض يقول النورسي: "ألا ما أشقى هؤلاء الذين يطلقون على هذا القانون "قانون القرآن العظيم" اسم الرجعية ويرضون بقانون وحشي جاهلي وينفذونه في سياستهم ويجعلونه ركيزتهم في الإدارة والذي يضحى فيه بالفرد لأجل الجماعة، ولا تؤخذ حقوق الأفراد بنظر الاعتبار لأجل سلامة الوطن، ولا يكترث للمظالم الجزئية لأجل سلامة سياسة الدولة، .... إن لطلاب القرآن وخدامه إزاء هذه المظالم الفظيعة لهذه الرجعية الوحشية مئات من قوانين القرآن الأساسية من أمثال "ولا تزر وازرة وزر أخرى" الذي يحقق العدالة الحقة والاتحاد والأخوة"[21].

إن هذه العدالة المنشودة تستدعي تحقق حالات إنسانية ينبغي توفرها وإدراك الإنسان لها على الوجه السليم المتناسب مع حاجات ومتطلبات هذا الإنسان لتحقيق غاية خلقه وهي عبادة الله وعمارة هذا الكون. ومن هذه الحالات حق الحياة، وثلاثية الحرية والأخوة والمساواة التي أطلقتها الثورة الفرنسية وحملت أوروبا خطوات إلى الأمام بعد عصور من الظلمات والجور، فاقتربت من هالة الشعار دون أن تصل حقيقة إلى كنه جوهره وتلامس حقوق الإنسان السامية التي تؤدي إلى تحقيق العدالة لا المدنية الزائفة.

إذ لم تستطع شعارات الثورة الفرنسية أن تبلغ مبلغ الحقائق الإيمانية التي أراد النورسي تنبيه طلابه إليها فحذرهم من هذه الشعارات الجوفاء وقال لهم "... وما هذا إلا فسح المجال لبذر بذور الثورة الفرنسية في هذه البلاد، وهذا ما يستحق القلق عليه..."[22].

غاية الأمر أن ما لديه أعمق وأبلغ بكثير من ذلك، إنه منهج قرآني يهدف إلى إقامة التوازن في هذا الكون وفق الانتظام العام الذي خلق عليه فيؤكد النورسي لطلابه أن الأصل هو "وجود قانون قرآني هو **(ولا تزر وازرة وزر أخرى)** يمنع بموجبه محاولة الإخلال بالنظام في أثناء القضاء على عشرة من الجناة"[23].

"هذا القانون العظيم الذي يحقق المحبة والأخوة الصادقة وينقذ الأمة الإسلامية وهذه البلاد من المخاطر"[24].

وفيما يلي بيان لمجموعة من هذه الحقوق الفردية المتلازمة وتحقيق العدالة كما رآها النورسي تبعاً لأصالة الشريعة الإسلامية وفي النسق الإيماني الذي يسمو بأشرف المخلوقات.

1- حق الحياة:

يقول النورسي مخاطباً نفسه، والإنسان:

"أيها الإنسان ويا نفسي!

اعلم يقيناً أن بدنك وأعضاءك، ووجودك ومالك وحيواناتك التي أنعم الله سبحانه عليك ليس للتمليك بل للإباحة أي أنه ملّكك ملكه لتستفيد وأباحه لك للانتفاع ولم يملكه لك ملكاً... فما عليك إلا العمل وفق دستور الإباحة...، فمثل هذا تماماً لا يجوز الانتحار وإنهاء الحياة التي وهبها لك الله سبحانه إباحة، .... فينبغي التصرف في جميع النعم في الدنيا وفق المضيف الكريم"[25].

كما أن الأمر ليس بالبساطة التي يحلو للبعض التحدث بها عنه بتفاهة تعكس الفراغ الروحي الذي يعاني منه، "إذ أن ماهية الحياة هي مخزن مفاتيح كنوز الأسماء الإلهية... تؤدي وظيفة المرآة العاكسة لصفات خالقهابكل قدسيتها وعلوها ورفعتها"[26].

يقول النورسي: "نظرت إلى حقوق الحياة الحقيقية فرأيت: أن حياتي رسالة ربانية تستقرئ نفسها... وهي موضع مطالعة يعرّف الخالق الكريم، وهي لوحة إعلان تعلن

كمال خالقي.. وفهمت أن من حقوقها التزين بشعور تام بما أنعم عليها خالق الحياة – بالحياة... وإظهار محاسن ربوبية "الحي القيوم" بلسان الحال والمقال والعبودية له.. وهكذا فلا تتطلب أمثال هذه الحقوق الرفيعة للحياة مدة مديدة، فضلاً عن أنها ترفع من قيمة الحياة ودرجتها ألف مرة وهي أعلى وأسمى وأفضل بمائة مرة من حقوق دنيوية للحياة"[27].

وفي السياق نفسه، يشد النورسي الانتباه بصورة أكثر تركيزاً إلى الحقيقة المرادة من حق الحياة فيقول: "أما ما اشتهر بين الناس من "حق الحياة" وهو حفظ الحياة مع نوع من الراحة، فأقل وأصغر وأدنى وأصغر من أن يكون جزءاً من ملايين أجزاء "حق الحياة" تلك الحياة التي هي أغلى وأعلى وأعجب وأغرب وأشرف معجزات قدرة الحي القيوم الأحد الصمد"[28].

فتأمل معي أنها الإنسان أن أي ظلم توقعه على نفسك بانتهاكك لقدسية حياتك وتعديك على حياة الآخرين فحقوق الحياة وغاياتها عائدة إليه سبحانه[29].

2- الحرية:

يندر في عصرنا أن يمضي على الإنسان يوم دون أن يسمع فيه أو يقرأ أو يفكر بالحرية بمختلف تشعباتها وتفرعاتها مثل الحرية الشخصية وحرية إبداء الرأي وحرية التصرف وحرية تقرير المصير وما إلى ذلك.

هذه الهالة التي تحيط بالحرية بالمطلق والفوضى المنافية للفطرة السليمة والناتجة عن تطبيقها، دفعت طلاب النور إلى التساؤل بين يدي أستاذهم عن حقيقة الأمر فقالوا، كما ورد في صيقل الإسلام: "س: لقد فسروا لنا "الحرية" تفسيراً خاطئاً سيئاً وكأن الإنسان مهما فعل –في كنف الحرية– من سفاهات ورذائل وفضائح لا يؤاخذ عليها ما دام لم يضرّ بها الناس... هكذا أفهمونا الحرية، أهي كذلك؟".

وكان جواب الاستاذ ما يلي: "إن الذين فسروها هكذا ما أعلنوا إلا عن سفاهاتهم ورذائلهم على رؤوس الأشهاد فهم يهذرون متذرعين بحجج واهية كالصبيان، لأن الحرية الحسناء ما هي إلا تلك المتأدبة بآداب الشريعة والمتزينة بفضائلها وليست تلك التي في السفاهة والرذائل. بل تلك حيوانية وبهيمية ووقوع في أسر النفس الأمارة بالسوء. إن

الحرية العامة هي المحصلة الناتجة من حريات الأفراد ومن شأن الحرية عدم الإضرار سواء بالنفس أو بالآخرين"[30].

ولا يترك النورسي طلابه حائرين دون تعريف أصيل إيماني يتلاقى مع حق قدسية الحياة وغاية الخلق فيقول: "إلا أن الحرية هي: أن يكون المرء مطلق العنان في حركاته المشروعة مصوناً من التعرض له، محفوظ الحقوق ولا يتحكم بعض في بعض، ليتجلى فيه نهي الآية الكريمة: **(ولا يتخذ بعضكم بعضاً أرباباً من دون الله)** ولا يتأمّر عليه غير قانون العدالة والتأدب، لئلا يفسد حرية أخوانه"[31]، موضحاً أن "كمال الحرية في أن لا يتفرعن المرء، وأن لا يستهزئ بحرية غيره"[32].

ومن جهة أخرى وتماشياً مع الحرية يقوم النورس بدفع الناس إلى الوعي للتخلص من الاستبداد "الذي أقام سداً مظلماً جائراً حبس خلفه حرية آسيا..."[33] والذي آن لضياء الحرية أن ينفذ عبره مستعيناً بقوة خارقة يعرفها النورسي بقوله: "لا يكون رفع أنواع الاستبداد إلا بالشورى والحرية، الحرية الشرعية... تلك الحرية التي تتزين بالأداب الشرعية وتنبذ سيئات المدنية الغربية، وتأمر بأساسين:

1- أن لا يذلل "المسلم" ولا يتذلل... من كان عبداً لله لا يكون عبداً للعباد.

2- أن لا يجعل بعضكم بعضاً إرباً من دون الله إذ من لا يعرف الله حق معرفته يتوهم نوعاً من الربوبية لكل شيء في كل حسب نسبته فيسلطه على نفسه"[34].

قد تثور ثائرة دعاة حرية هذا العصر إذا ما قلت لهم: تمهلوا لتتأمل من جودة الحرية التي تقيمها أو تطالب بها مجموعة بشرية ما! فهذا طرح مستهجن يرد عليه دون تفكير رغم أهمية، وفي هذا الموضوع تطالعنا لطيفة دقيقة تعرّض لها النورسي محللاً مدى استعداد الأمة لاستيعاب الحرية والتخلص من الاستبداد فيقول: "لا تفسروا الحرية تفسيراً سيئاً كي لا تفلت من أيديكم ولا تخنقونا بسقي الاستعباد السابق الفاسد في إناء آخر، ذلك لأن الحرية إنما تزدهر بمراعاة الأحكام الشرعية وآدابها والتخلق بالأخلاق الفاضلة... وبخلافه فإن تفسير الحرية والعمل بها على أنها التحرر من القيود والانغمار في السفاهات والملذات غير المشروعة وتجاوز الحدود مماثل لمن يتحرر من أسر سلطان واحد ويدخل في استبداد حقراء سافلين كثيرين، فضلاً عن أن هذا النمط من الحرية يظهر أن

الأمة غير راشدة وما زالت في عهد الصباوة وليست أهلاً للحرية فهي سفيهة إذن تستحق الحجر عليها بالرجوع إلى الاستبداد السابق البائد. إن عدم الأهلية للحرية الشرعية الحديثة يؤدي إلى مرض يتعرض له إتحاد الأمة العظيم فتتعرض الأمة إلى حالات فاسدة متعفنة[35]. ولعل خير ما نختم به الحديث عن الحرية قول النورسي "بأن المسلم ليس جزءًا فرداً سائباً حبله على غاربه، بل هو جزء من مركبات متداخلة متصاعدة لها مع سائر الأجزاء صلة رحم من حيث جاذبية الإسلام العامة"[36].

3-الأخوة:

إن ما يندرج تحت هذا الحق ما هو إلا ترجمة فعلية لقوله تعالى: [إنما المؤمنون أخوة] ففي الإسلام: روابط تستدعي الوحدة والتوحيد والوفاق والاتفاق والمحبة والأخوة، ولها من القوة ما يربط أجزاء الكون الهائلة [37].

ومن دساتير الحياة يقرر النورسي: "إن الذين يملأ قلوبهم الحقد والعداوة تجاه إخوانهم المؤمنين إنما يظلمون أنفسهم أولاً، علاوة على ظلمهم لإخوانهم، وفضلاً عن تجاوزهم حدود الرحمة الإلهية فقد ورد في الحديث الشريف: (**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، فيلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**)"[38].

لو أراد الباحث التوسع في لطائف هذه العلاقة الإيمانية مستقياً حيثياتها من رسائل النور لاحتاج إلى صفحات وصفحات بقدر عمق الأخوة والمحبة المفعمة من قلب كاتبها والتي تشع نوراً يغمر حياة طلابه لتعمَّ أرجاء العالم كافة.

4-المساواة:

هي مساواة في الحقوق والواجبات تشمل أبناء الأمة الواحدة وليس هذا بالجديد في أمة إسلامية تتظلل بدستور القرآن وتستبدل مصطلح المساواة بالأخوة الإيمانية والإنسانية والمحبة المقدسة في الله وقد سبق الحديث عنها.

لذا لن يكون هذا مقصودنا بالمساواة وإنما نعني بها تلك القائمة بين المسلمين وغير المسلمين، طبقاً للتعريف الذي أردفه النورسي رداً على استفسار أحد طلابه حين سأله: "كيف تتساوى مع غير المسلمين! فقال: المساواة ليست في الفضيلة والشرف بل هي في الحقوق. فالسلطان الملك والفقير المسكين كلاهما سيان في الحقوق... فيا للعجب إن

الشريعة التي نهت عن تعذيب نملة وأمرت ألا تداس عمداً، أتهمل حقوق بني آدم؟ كلا!".

ويزيد النورسي في بيانه لهذه المسألة مصححاً مفاهيم خاطئة تفشت نتيجة الجهل والإغفال لقانون القرآن فقال بهذا الصدد: "نحن الذين لم نتمثل الشريعة، ألا تكفي لتصحيح خطأكم هذا، محاكمة أمير المؤمنين الإمام علي رضي الله عنه مع يهودي فقير، ومرافعة صلاح الدين الأيوبي –وهو مدار فخركم- مع نصراني مسكين"[39].

إن هذه الدلائل لها من الثبوتية والقطعية ما توفي المسألة حقها.

إلا أن المساواة ليست مطلقة بالقدر الذي يعلنه دعاتها في هذا الزمن، والذين يدّعون امتلاك دساتير خاصة في عصر الحرية واعتماد قانون المساواة جاعلين من هذه الدعاية ذريعة للظلم والاستبداد رافضين للآخر، يشمئزون من كل من يخالف مبادئهم ولاحق لهذا المخالف في الشكوى من المتضايقات لأنهم يعرفون الحرية ويدعون للانفتاح لا للظلامية على حد زعمهم.[40]

ولهؤلاء قال النورسي: "تضم إنني من حيث النسب ونمط معيشة الحياة من طبقة العوام ومن الراضين بالمساواة في الحقوق فكراً ومشرباً ومن العاملين على رفض سيطرة طبقة الخواص واستبدادهم وذلك بمقتضى الرحمة وبموجب العدالة الناشئة في الإسلام.

لذا فأنا بكل ما أوتيت من قوة بجانب العدالة التامة...

بيد أن فطرة النوع البشري وحكمة خلقه تخالفان قانون المساواة المطلق[41].

ويعزو ذلك إلى حقيقة الخلق وتنوع البشرية وانتشارها لإعمار الأرض، ويقول: "إن أجلّ حميرة لتنوع النوع البشري وأهم نابض محرك له هو التسابق لإحراز الفضيلة المتسمة بالإيمان الحقيقي"[42].

وأخيرا هذه دعوة إلى تحيد النفس وبراءة منه رحمه الله من هؤلاء الدعاة فقال: "أنا لا أتدخل في دنياكم قط ولا علاقة لي بأية جهة كانت بمبادئكم" [43].

وهكذا تترابط هذه الحقوق في سلاسل إيمانية نورانية متصلة ببعضها البعض ، ممسكة بالنظام العام وتحتضن في داخلها سلاسل أخرى من حقوق أكثر دقة تخصصاً مردها جميعاً إلى العبودية لله .

ويرى النورسي أن هذه السلاسل مهددة بفرط عقدها، فيتوجه إلى هؤلاء المتمردين على عبودية الله قائلا: " ألا فليدرك أولئك الذين يسعون لقطع تلك السلاسل النورانية

التي ارتبط بها جميع أعاظم الإسلام منذ خير القرون إلى يومنا هذا، ويعاونون على تحريفها وهدمها . فلينظر هؤلاء أي خطأ عظيم يرتكبون وليرتعدوا إن كانت لهم ذرة من شعور"[44]

الخـــاتمـــة

ما هذا إلا غيض من فيض يفور من ينابيع نورانية تطفئ ظمأ كل حيران يتخبط في فراغ روحي وفكري وسط غياب خطة ممنهجة تدير الأزمة، حيث أثبت الواقع الراهن فشل جميع الطروحات السابقة التي لم تجر على الأمة إلا الويلات ، وهكذا تبرز الحاجة الى هذا التجديد الذي يرفد العالم الإسلامي بما يمكنه أن يكون خشبة خلاص تحميه من الغرق في بحور الضياع والقهر والاستبداد.

وبالعودة إلى نقطة البداية لنختم هذا العرض الذي أردنا أن يكون إشعاع تواصل يضعنا مع الآخر عن خط واحد . عند هذه النقطة يتوجه النورسي إلى دعاة القوة فيقول لهم : " إن لم تمتزج دساتير الحكمة ونواميس الحكومة وقوانين الحق وقواعد القوة بعضها ببعض، ولم يستمد كل من الآخر ولم يستند إليه ... فلا تكون مثمرة ولا مؤثرة لدى جمهور الناس ."[45]

ثم يلتفت إلى هذا الصراع التائه في نفق لا نهاية له ويقول : "لتتصافح العلوم النابعة من الفلسفة مع الدين وتتصالح أوروبا مع حقائق الإسلام مصالحة تامة، ولتتفق المدارس الحديثة مع المدارس الشرعية...."[46]

إنها دعوة للتواصل و دفع للآخر نحو الانفتاح وتقبل ما هو مغاير لمدنيته.

إشعاعات يبثها مرسل لا مشكلة لديه ولا يعاني من عقدة الآخر.

الهوامش

1 – صقيل الإسلام، ص 316.
2 –إشارات الإعجاز في مظان الايجاز ص 23
3 – صيقل الإسلام، ص 346.
4 – الكلمات، ص 145.
5 – المكتوبات، ص 509.
6 – المكتوبات، ص 511
7 – الكلمات، ص 301.
8 – – اللمعات، ص 222.
9 – أنظر إشارات الاعجاز ، ص 53–54–55

10- المكتوبات355.
11 - المكتوبات، 355.
12 - الملاحق، ص 121.
13 - الملاحق، ص 148-149.
14 - أنظر الملاحق ص 149
15 - الملاحق، ص 212.
16 - الملاحق، ص 237.
17 - صيقل الإسلام، ص 514.
18 - صيقل الإسلام، ص 515.
19 - الملاحق، ص 376.
20 - الملاحق، ص 377.
21 - صيقل الإسلام، ص 374.
22 - الملاحق، ص 375.
23 - الملاحق، ص 367.
24 - الملاحق، ص 374.
25 - الملاحق، ص 93.
26 - أنظر الشعاعات، ص 82-83.
27 - الشعاعات، ص 82.
28 - المثنوي العربي النوري، ص 417.
29 - المثنوي العربي النوري، ص 450.
30 - صيقل الإسلام، ص 393.
31 - صقيل الإسلام، ص 394.
32 - صقيل الإسلام، ص 393.
33 - صقيل الإسلام، ص 397.
34 - صقيل الإسلام، ص 514.
35 - صقيل الإسلام، ص 468.
36 - صقيل الإسلام، ص 397.
37 - المكتوبات، ص 341.
38 - المكتوبات، ص 342.
39 - صيقل الإسلام، ص 399.
40 المعنى مقتبس من اللمعات ص 259
41 اللمعات، ص 259
42 - اللمعات، ص 259.
43 اللمعان ، ص 259
44 المكتوبات ص 511
45 الكلمات ص 849
46 الملاحق ص 417